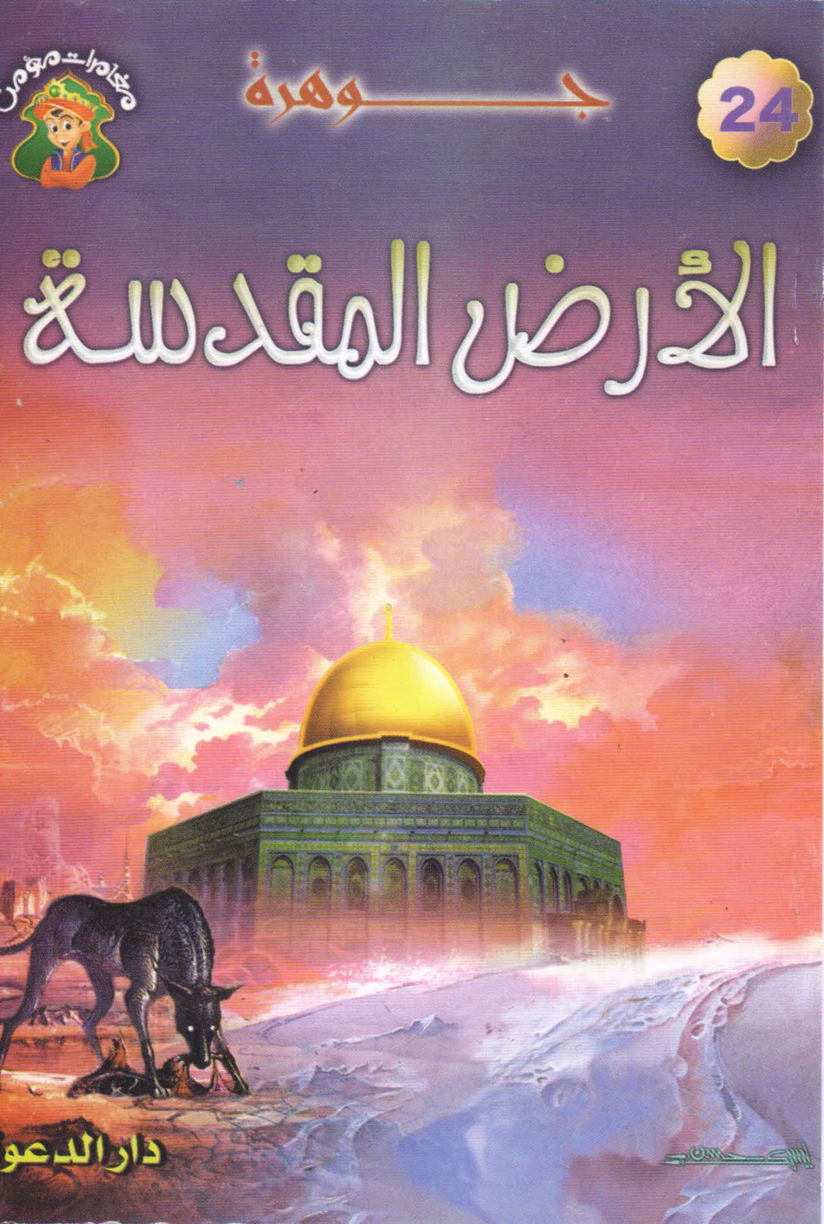


مغامرات مؤمن
24
جوهرة
الأرض المقدسة
دار الدعو



- سلسلة مليئة بالإثارة والتشوي
- أغـــرب الرحـــلات والمفارقـات
- تجمـع بين المتعـة والمعـرفـة
- لاغنى عنها في الرحلات والبيت والمواصلا

جوهرة الأرض المقدسة

الأرض المقدسة .لم يسال
مؤمن أحداً عن الأرض بل تذكر الآية
الكريمة
((ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة))
ولما علم وجهته فرح فرحاً عظيماً
وطفق يقبل والدته وينطلق
قافزاً فى الهواء
ساذهب إلى مغامرة حبيبة يا أمى
مغامرة حبيبة ؟ .. أين ياولدى ؟
- القدس .. القدس يأمى -
.. يالله .. يالله -
هيا بنا نرى ما الذى دار فى هذه
.... الأرض المباركة

دار الدعوة
للطبع والنشر والتوزيع

٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية
تليفاكس / 3901914 - 3907998

سلسلة

مغامرات عجيبة جداً..

24

جوهرة

الأرض المقدّسة

الطبعة الثالثة
١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

رقم الإيداع القانونى
٩٩/١١٦٧٠

الترقيم الدولي : 977-253-238-7

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع
المركز الرئيسى : ٢ ش منشا - محرم بك - الاسكندرية
☎ ٣٩٠١٩١٤ - ٣٩٠٧٩٩٨ - فاكس ٥٩٠١٦٩٥

جـــوهـــرة

الأرض المقدّسة

تأليف / علاء الدين طعيمة

رسوم / يسري حسن

الإشراف العام / أحمد خالد شكري




بسم الله الرحمن الرحيم

٥

لم يجد مؤمن صعوبة هذه المرة فى معرفة وجهته..

حيث أن التاج أخبره بأن الجوهرة التالية هى جوهرة «الأرض المقدسة» لم يسأل أحد الناس بل تذكر آية من القرآن الكريم تقول:

بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾

[المائدة: ٢١] ولما علم وجهته فرح فرحاً عظيماً وطفق يقبل والدته ويقفز فى الهواء :

ـ سأذهب إلى مغامرة حبيبة ياأمى .

ـ مغامرة حبيبة .. أين ياولدى؟

ـ القدس .. القدس ياأمى.

ـ يا الله .. يا الله ...

٦

ـ أبشري ياأمى .. سأعود من هناك وأنا منتصراً بإذن الله.

ـ أتعرف ياولدى ماهى مكانة الأرض المقدسة؟

ـ مكانتها عظيمة .. عظيمة جداً.

ـ أتدرى ماذا قال فيها رسول الله ﷺ؟

ـ فى الحقيقة .. فى الحقيقة.

ـ اسمع يامؤمن .. اسمع ياولدى .. لقد روى لنا أبو داود كما روى أيضاً ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال:

« بيت المقدس .. أرض المحشر .. ائتوه فَصَلُّوا فيه فإن صلاة فيه كألف صلاة فى غيره»

ـ ياه .. ألف صلاة !!

ـ بل أكثر من هذا ياولدى .. ففى رواية أن رسول الله

٧

ﷺ قال .. « من أراد أن ينظر إلى بقعة من بقع الجنة فلينظر إلى بيت المقدس» وقال «من زار بيت المقدس محتسباً حرَّم الله لحمه وجسده على النار ».

ـ ياالله .. أمي ... إني ذاهب إليها .. ذاهب وسأدعو الله لك في المسجد الأقصى.

ـ حظك وافر يامؤمن بإذن الله .. لقد قال رسول الله ﷺ « صلاة في المسجد الحرام أفضل مما سواه من المساجد بمائة ألف صلاة، وصلاة في مسجد المدينة أفضل من ألف صلاة فيما سواه، وصلاة في مسجد بيت المقدس أفضل مما سواه في المساجد بخمسمائة صلاة».

شرد مؤمن قليلاً كأنما يستحضر شيئاً من الذاكرة

٨

ثم صاح قائلاً :

- تذكرت .. تذكرت ياأمى أيضا ماقاله شيخ الجامع ذات جمعة .. قال أن رسول الله ﷺ قال «إن خيار أمتى تهاجر هجرة بعد هجرة إلى بيت المقدس، ومن صلى ببيت المقدس بعد أن توضأ وأسبغ الوضوء ركعتين أو أربعا غُفر له ماكان من قبل ذلك».

- بارك الله فيك يامؤمن أن حفظت شيئاً من أحاديث رسول الله ﷺ .

ها ... ترى ماهى نوعية المغامرة فى القدس؟

- الله أعلم .. يحدث لى كما يحدث فى كل مرة .. أذهب وأتوكل على الله .. ثم هناك تفاجئنى الأحداث وتأخذنى الظروف لأجدنى وسط المغامرة

قبل أن أقرر الدخول من الخروج.

ـ الله معك ياولدى .. احرص على ماينفعك يامؤمن..

ـ ها .. متى ستنوى ؟

ـ اليوم بإذن الله يا أمى قبل الظهر .. بعد ساعة سأكون جامعاً حاجاتى وجوادى .. وسأنطلق بإذن الله عبر صحراء سيناء ومنها إلى القدس.

ودع مؤمن والدته وانطلق كما حدد نحو الهدف وكله أمل أن يرى القدس العربية وأحس أن جواده أيضاً يتوق لها فهو ينطلق بسرعة وإقدام فقطع المسافة من القاهرة الفاطمية إلى سيناء فى زمن يسير حتى ألفى مؤمن نفسه على مشارف سيناء .. فقرر أن يخترقها عبر جبالها المسننة .. وبرغم شوقه إلى

١٠

القدس إلا أن سيناء - أرض الفيروز - أغرته بروعة طبيعتها وجمال هيئتها .. وكان له من العلم بمكانتها الكثير .. فلم يشأ أن يعبرها قبل أن يرى الجبل الذى كلم موسى عليه السلام من فوقه رب العباد.

وكانت الشمس تميل إلى الغروب في اليوم الذى دنا فيه من الأرض التي كانت مهبط الوحى ذات يوم من الأيام.. إنه يقترب من جبل الطور.

لم يكن هناك أحد من البشر إلا أنه استشعر الأنس كأنه بين الناس ولم يكن ليعرف لحظة عن استنشاق الهواء.. هواء سيناء .. إذ إن الحشائش البريَّة التى نمت على الجبال لها أريج يأخذ بالألباب.. أخذه الخشوع والتبتل إلى الرحمن رافع السماء بغير

١١

عمد.. نظر فى الجبال التى برزت فوق الأرض كأنها الأوتاد وتذكر قول الله تعالى وذاق حلاوته:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا ۞ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾[النبأ: ٦-٧] .

كانت رحلته مبهرة فى سيناء .. فهو على الجواد لايتعجل السير.. بل يتهادى متاملاً كل شئ .. وجاء الليل والبرد .. فقرر أن يبيت فى حضن جبل حتى الصباح، وأخرج قماشته وشدها إلى جدار الجبل ورفعها على وتد شديد وربط جواده إلى حجر ثقيل ثم أشعل حزمة حطب، وأخرج طعامه وسخنه على النار وتناول لقيمات سد بها الجوع، فتثائب ثم تدثر بغطائه وراح فى نوم عميق، ورأى فى منامه أن رجلاً

١٤

شريراً يريد أن يخنقه.. فقام مذعوراً فلما اطمأن لحاله عاد إلى النوم فرأى ذات الرجل كثيف شعر الحاجبين أشعث اللحيين (الشارب والذقن) بشكل مقزز وفي مؤخرة رأسه قبعة كأنها بقعة وعيناه حمراوين شَرَهاً.. يمد أصابعه ذات الأظافر الطويلة إلى رقبته يريد أن يخنقه .. فقام مذعوراً للمرة الثانية وهو يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.. وأخذ يتلو آيات من القرآن حتى راح فى سبات عميق مرة أخرى.. وقبيل الصباح أتاه نفس الرجل بهيئته المرعبة.. وإنما فى هذه المرة يحمل جوهرة نفيسة ويقطر الدم منها كأنه قلب نزع من صدر إنسان وعلى فمه آثار الدم كالحيوان المفترس:

١٣

ـ أعوذ بالله من هذا الوجه.. يا إلهى.. كابوس يأتينى ثلاث مرات؟.. ترى ما معنى ذلك؟.. هيا بنا يا جوادى.. بعد قليل سنصل إلى جبل موسى الذى كلم عليه ربه.

وبعد قليل وصل إلى الجبل ورأى بعض الأعراب ممن يقطنون المكان.. رحبوا به وأحسنوا ضيافته وبعد أن تناول معهم طعامهم جلس ينظر أعلى الجبل فلم يتمكن من رؤية قمته العالية.

ـ ترى ياشيخ العرب .. كم من الزمن يستلزم أن أصبح فى أعلى الجبل؟

ـ يكفيك يوم نهاره أو ليله ..

ـ أهذا هوجبل موسى ؟ ..

١٤

تذكرت قول الله تعالى: ﴿إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ۝ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ۝ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۝ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ۝ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٠-١٤].

- بارك الله فيك ياولدى .. نعم .. فوق هذا الجبل..

دار الحوار بين الله ونبيه المرسل موسى عليه السلام.. ومن فوقه تلقى الأمر بدعوة الناس إلى عبادته.

وفى اليوم التالى قرر مؤمن ألا تفوته هذه الفرصة.. عندما نوى تسلق الجبل .. وصاحبه فى



١٦

ذلك غلام بدوى شديد يدعى « عنترة » .. وأخذا يتسلقان فى نشوة غامرة وخشوع المكان، ورهبة التاريخ القديم الذى دارت أحداثه فى ذات المكان ..

وبعد ساعات وصلا إلى القمة وكاد مؤمن أن يغشى عليه من عظم ارتفاع الجبل:

ـ ياه .. ما هذا يا عنترة؟ .. إننى أرى سيناء كلها .. انظر هذا هو البحر الأحمر بذراعيه يحتضن سيناء.. يا إلهى .. ما أجمل وأروع هذا المكان ..

ـ من هنا يا مؤمن يمكن أن تحب.

ـ أحب؟!

ـ نعم .. تحب الله .. تحب دينك .. تحب أرضك .. بلادك .. كل شئ.

١٧

- أحب الله في كل مكان .. ولكن الحق معك .. لا أعرف لماذا أشعر أنني الآن قريب منه أكثر من ذي قبل .. أيكون لذكرى المكان دورٌ في ذلك ؟

- إنه مكان مقدس يامؤمن .

- ياإلهي .. لقد تذكرت .. الأرض المقدسة .. لابد أن أكمل رحلتي .

- رحلتك ؟! .. إلى أين ؟

- إلى بيت المقدس .. إنها وجهتي .

- حبيبتي ...

- حبيبتك ؟! أتذكر حبيبتك هنا ؟!

- القدس حبيبتي يا مؤمن .. أنا عاشق لها .. للمسجد الأقصى ..

١٨

أتعرف ؟ .. لقد زرتها عشر مرات .. وفى كل مرة أشعر أننى أراها للمرة الأولى .. أعرف كل شئ فيها .. هلا صاحبتك فى رحلتك ؟

ـ بكل سرور .. بكل سرور .. ستكون خير دليل لى .

ـ ولكن هل لى أن أعرف الغرض من زيارتك للقدس ؟

ـ إنها قصة طويلة .. بعد أن تهبط الجبل .. سأقص عليك الأمر كله .

كان عنترة غلاماً فى عمر مؤمن تقريبا .. إلا أنه أقصر طولاً بشكل ملحوظ .. له ملامح بدوية تميزه، وعيناه كعينى الصقر ذو بشرة برونزية وفك علوى بارز قليلا للأمام تنحسر شفته عن أسنان بارزة قواطعها كبيرة بنية اللون إلى حد ما .. مرح الطبع

١٩

يحب الضحك والمزاح . .فهو من النوع الذى يحب أن يرى الوجه الجميل من الدنيا . . إلا أن فيه رغبة للنسك والتقرب إلى الله . . وورث عن والده حبه للحديث وجمعه للأخبار المختلفة وحفظها . . فلم يكن مؤمن يصدق أنه يصاحب عالماً صغيراً فى رأسه كل هذا العلم. فحمد الله أن دليله فى الرحلة له كل هذه الخبرة . . لأنه سيسهل له الكثير من الأمور الصعبة التى من المفترض أن يواجهها فى الرحلة الجديدة .

وكان الليل يبسط رداءه . . وصاحبانا يتسامران فى الخيمة وحزمة الحطب عند بابها تتأجج نيرانها وتزيد من حرارة الحديث .

ـ يا ربى . . يا ربى . . هل رأى غلام مثلك كل هذه

الأهوال والمناظر يا مؤمن؟

- جبال وبحار وحيوانات مفترسة.. يا عنترة.. غرائب الإنس والجن وأحوال عجيبة.. إن الغلام الذى أمامك.. أراد الله له فضلاً عظيماً إذ نَجَّانى من أخطار مميتة وأحوال مدمرة.. لكنى رغم كل ذلك أجدنى أتوق كل يوم إلى مغامرة جديدة..

- إذاً.. نم.. نم يا مؤمن.. حتى نخرج فى الصباح الباكر على جوادينا إلى القدس.. حيث تبدأ بعد ذلك مغامرتك الجديدة.

وفى الصباح الباكر قاما، وبعد أن صليا الفرض جماعة جلسا فتناولا ما يعينهما على الرحلة وأخذ مؤمن يلم الحاجيات وعنترة يجهز جواديهما.. وبعد

٢١

أن اعتليا فوقهما ابتسم مؤمن وقال لعنترة :

ـ هيا يا عنترة .. انطلق بنا إلى بيت المقدس.

سار الجوادان وعنترة شارد لايتكلم كأنه يسترجع شيئاً ولم يشأ مؤمن أن يوقفه تأملاته ..، وبعد قليل من السير نظر إليه عنترة مبتسماً وقال :

ـ قلت لى منذ قليل .. انطلق بنا إلى بيت المقدس.

ـ وماذا فى ذلك؟

ـ ها ها .. لقد ذكرنى قولك بحديث طويل لعبد صالح يدعى مقاتل.

ـ ماذا قال؟

ـ قال مقاتل « صخرة بيت المقدس وسط الدنيا وإذا قال العبد الصالح : انطلق بنا إلى بيت المقدس يقول

الله تعالى: يا ملائكتي اشهدوا أني قد غفرت لهما قبل أن يخرجا، هذا إذا كانا لايصران على الذنوب، وأول أرض بارك الله فيها هي بيت المقدس، كما أوصى آدم عليه السلام لما مات بأرض الهند أن يدفن ببيت المقدس، وهاجر ابراهيم عليه السلام من «كوثا» إلى بيت المقدس، وأوصى ابراهيم واسحق عليهما السلام أن يدفنا بأرض بيت المقدس، وكلم الله تعالى موسى فى أرض بيت المقدس، وتجلى الله جل جلاله للجبل فى أرض بيت المقدس، ورفع التابوت والسكينة من أرض بيت المقدس وتاب الله على داود وسليمان عليهما السلام فى أرض بيت المقدس، وسخر الله لداود الجبال والطير ببيت المقدس، وشدد الله لداود

ملكه ببيت المقدس، وألان له الحديد ببيت المقدس، وتسورت الملائكة على داود المحراب ببيت المقدس، وأفهم سليمان منطق الطير ببيت المقدس، وسأل سليمان ربه ملكا لاينبغى لأحد من بعده فأعطاه ذلك ببيت المقدس، ورد الله على سليمان ملكه فى بيت المقدس، وتقبل الله من امرأة عمران نذرها ببيت المقدس، وأوتيت مريم عليها السلام فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء ببيت المقدس، وأنبت الله تعالى لها النخلة ببيت المقدس ، وهَزّت النخلة لمريم عليها السلام رطباً جنياً ببيت المقدس، وبشر الله تعالى زكريا بيحى فى بيت المقدس، وماتت مريم عليها السلام ببيت المقدس،

وولد عيسى عليه السلام وتكلم فى المهد ببيت المقدس وأيد الله عيسى عليه السلام بروح القدس ببيت المقدس، وآتى الله الحكم ليحيى صبياً ببيت المقدس، وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى ويصنع العجائب ببيت المقدس، ونزلت عليه المائدة فى أرض بيت المقدس، ورفعه الله تعالى إلى السماء من بيت المقدس، وينزل من السماء إلى الأرض ببيت المقدس، وكانت الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - يقربون القرابين ببيت المقدس، وتهبط الملائكة - عليهم السلام - كل ليلة إلى بيت المقدس، وينظر الله تعالى كل يوم بخير إلى بيت المقدس، وصلى النبى ﷺ زمانا إلى بيت المقدس وأسرى به ﷺ إلى بيت

٢٥

المقدس، وركب ﷺ البراق إلى بيت المقدس، وحشر الله الأنبياء كلهم لرسول الله ﷺ فصلى بهم ببيت المقدس، وتكون الهجرة فى آخر الزمان إلى بيت المقدس، ويتغلب يأجوج ومأجوج على الأرض كلها غير بيت المقدس، ويهلكهم الله تعالى فى أرض بيت المقدس، وتخرب الأرض كلها ويعمر بيت المقدس، ويجعل الرب جل جلاله مقامه يوم القيامة فى أرض بيت المقدس، والمحشر والمنشر إلى بيت المقدس، ويأتى الله فى ظلل من الغمام والملائكة إلى بيت المقدس، وينصب الصراط على جهنم إلى الجنة ببيت المقدس وينفخ اسرافيل فى الصور ببيت المقدس ، وتوضع الموازين يوم القيامة ببيت المقدس

٢٦
ويحشر الله الأنبياء كلهم إلى بيت المقدس، ويتفرق الناس من بيت المقدس إلى الجنة أو النار، ومن صلى فى بيت المقدس فكأنما صلى فى السماء الدنيا ومن سره أن يمشى فى روضة من رياض الجنة فليمش إلى صخرة بيت المقدس.

كان مؤمن يستمع إلى عنترة وهو يتلو الحديث الطويل وقد أرخى لجواده العنان فلم يلتفت للطريق، وكان عنترة كأنما ينظر فى سطور مكتوبة فى الأفق فأحس مؤمن برعدة خفيفة سرت فى أوصاله من خشية الله ولما سكت عنترة صاح فيه:

ـ ماهذا؟ .. ماكل هذا؟ .. أَلِبَيْتِ المقدس كل هذا الكلام؟!

نظر إليه عنترة ثم قال :

ـ طال بنا الكلام يا مؤمن .. المشوار أمامنا طويل .. هلا نُجِدُّ السير .. هيا .. هيا .

أخذ الغلامان يتسابقان والمرح يملأ حركاتهما .. الفرحة بزيارة المكان المقدس أنستهما عناء الرحلة، وكلما أنهكهما التعب ارتاحا ثم أكملا السير ..، وعندما يجن عليهما الليل يأويان إلى خيمتهما حتى الصباح .. ورغم كل ذلك .. فإن مؤمن كان يعانى تكرار الكابوس المزعج .. وذات صباح أخبر به صاحبه :

ـ كل ليلة ؟ !

ـ أجل .. بل كلما غفلت عيناى .. أرى ذات الشخص .

ـ إذاً .. كن حذراً يا صديقي .. فهذا ولابد إنذار من الله بأن هذا الرجل سيكون مصدر خطر بالنسبة لك.

ـ أتظن ذلك ياعنترة؟

ـ عموماً لن يخذلك الله يا مؤمن .. وأنا بجانبك .. ولم تبق غير مسافة يسيرة .

هيا بنا نقطعها .. فكلى شوق لزيارة المسجد الأقصى.

ودخل مؤمن وعنترة بيت المقدس على حين غفلة من أهلها، ومازال بهما النشاط فتوجها إلى المسجد الأقصى .. أولى القبلتين وثانى الحرمين وهناك كاد مؤمن أن يسقط من الخشوع لله من روعة المكان

وقدسيته، وطافا يزوران كل مكان فيه، ودعا مؤمن لنفسه ولوالديه ولكل المسلمين فى الأماكن التى أخبره عنترة أن الدعاء فيها مستجاب بإذن الله تعالى.

وفى المسجد الأقصى قال عنترة لمؤمن:

ـ المسجد الأقصى يا مؤمن ليس له نظير.. له عشرة أبواب كما رأيت.

أخذا يتجولان بصمت تام وخشوع كبير.. وتأمل مؤمن بناء الجامع العظيم الذى به قبة مرتفعة مزينة بالفصوص الملونة، وتحت القبة رأى مؤمن المنبر الذى يقف الخطيب عليه فى صلاة الجمعة.. متعجباً من القبة المرتفعة المزينة بالفصوص الملونة وما عليها من

٣٠
نقوش جميلة.

وتوقفا أمام بئر كانت على يسارهما عند دخول المسجد .. وسأل مؤمن:

ـ ماهذه البئر ياعنترة؟

ـ آه .. إنها بئر الورقة .. ولها قصة جميلة .. فقد روى أبو بكر ابن أبى مريم عن عطية بن قيس أن رجلاً من بنى تميم انطلق يستسقى فى هذا البئر، فوقع دلوه فى البئر، فنزل ليأخذه، فوجد باباً فى الجب يفتح إلى جنان. فدخل الباب إلى الجنان يمشى عليها، وأخذ من شجرها ورقة فجعلها خلف أذنه، ثم خرج إلى الجب فارتقى فأتى صاحب بيت المقدس، فأخبره بما رأى من الجنان ودخوله فيها،



فارسل معه إلى الجب أناس فلم يجدوا باباً ولم يصلوا إلى الجنان، فكتب بذلك إلى سيدنا عمر بن الخطاب ﵁، فكتب عمر بصدق حديثه تصديقاً لقول رسول الله ﷺ «ليدخلن الجنة رجلا من أمتى يمشى على رجليه وهو حى» وكتب عمر «أن انظروا إلى الورقة فإن يبست وتغيرت فليس هيِ من ورق الجنة فإن الجنة لايتغير شيئ منها» وذكر فى حديثه أن الورقة لم تتغير وبقيت مع الرجل خضراء، حتى اقتربت منيته فأوصى وهو يحتضر أن يجعلها بين كفنه وصدره.. وهذه قصة هذا البئر يا مؤمن.

فغر مؤمن فاهه من شدة دهشته طيلة حديث

٣٣

صاحبه ثم صاح:

- سبحان الله .. سبحان الله .. أين أنت يا أمى؟ ليتك كنت معى لترى عجائب القدس الشريف.

وتجولا مرة أخرى حتى وصلا إلى موضع الصخرة الشريفة فى وسط المسجد على الصحن الكبير الذى يتوسطه ، وهى قبة مرتفعة على عُمدٍ من رخام وسوارى مبنية فى غاية الإحكام والاتقان، والصخرة الشريفة تحت هذه القبة يحوطها درابزين من الخشب، ويحوط بالعمد والسوارى الحاملة للقبه درابزين من حديد، وخارج القبة سقف مستدير من الخشب المطلي بماء المذهب على عمد من رخام.. وشاهد مؤمن أرض القبة وحيطانها مبنيَّة بالرخام ومزينة

٣٤
بالفصوص من الداخل والخارج .. وهنا قال عنترة :

ـ يقال يا مؤمن أن مياه الأرض كلها تخرج من تحت صخرة بيت المقدس، وهى من عجائب الله تعالى فى أرضه.

ـ كيف ذلك يا عنترة؟

ـ إنها صخرة شعثاء يا مؤمن، انقطعت من كل شيء، ولا يمسكها إلا الذى يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه.

ـ ماذا تقول؟ .. صخرة معلقة بين السماء والأرض ، ولكنى أرى سوراً تحتها يحملها.

ـ قيل أن المشهور عند الناس أن الصخرة معلقة بين السماء والأرض وأنها استمرت على ذلك لسنة

خمس وثمانين وأربعمائة من الهجرة . حتى دخلت تحتها حامل، فلما توسطت تحتها خافت فاسقطت حملها، فبنى حولها هذا البناء المستدير حتى استتر أمرها عن أعين الناس» .

- يا إلهى.. ما هذه العجائب؟! سبحان الله.. سبحان الله !!!

والآن يا صديقى هل نخرج فإن لى أصدقاء أريد زيارتهم فقد نجد لديهم بيتاً نقيم فيه على أن نستكمل زياراتنا بعد الراحة بإذن الله.

وخرجا يطوفان بالمدينة ويتوغلان فى شوارعها وأحيائها ولما تصادف مرورهما بحارة تسمى حارة اليهود استوقف مؤمن صديقه قائلاً :

٣٦

ـ انتظر يا عنترة .. إنى أسمع صوت صراخ امرأة.

ـ نعم.. إنه يأتى من الناحية اليمنى.. هيا نستطلع الأمر.

فتاة فى عمر الزهور تجرى فى الشارع وقد تمزق رداؤها وهى تصرخ وتنحنى فى الحارات وتدلف الأزقة بسرعة كأنما تفر من الموت.. فتحرك نحوها مؤمن وعنترة وهما يرقبان الأمر دون تدخل وكان وراءها رجلان يحمل كل منهما سوطاً بيده .. فلما رآهما مؤمن صاح فى صاحبه:

ـ لم يكن مؤمن الذى يصبر على ذلك.. هيا نحمي هذه الفتاة ونغيثها.

وفى الحارات كانت مطاردة .. لم يدر أى من

الرجلين أن الغلامين لهما بالمرصاد.. لقد تفرقا ليصنعا كمينا للفتاة .. فلما وصلت إلى ناحية الشارع كان أمامها أحدهما فلما استدارت لتعود فإذا وراءها الرجل الآخر فصرخت ولكنهما قبضا عليها.. فأخذت تصرخ وتقاوم فرفع أحدهما السوط وقبل أن يهوى به عليها وجد قبضة أحكمت عليه فإذا مؤمن على جواده ووراءه عنترة ولما أراد الرجل أن ينزع السوط من قبضة مؤمن .. جذبه مؤمن بشدة وصاح فيه:

ـ ويحك يا رجل .. ماذا دهاكما؟.. رجلان؟ .. رجلان على فتاة؟.. أى حق لكما ؟

ـ انبرى الرجل الثانى الذى كان يمسك الفتاة من

٣٨

شعرها .. يتهكم على مؤمن:

ـ هيا أيها الطفل أنت وصديقك.. العبا بعيداً قبل أن نشبعكما ضرباً.. هيا يا ولد.. أعد السوط لصاحبى.. وإلا.

ـ وإلا ماذا؟.. إن لم تدعا هذه الفتاة وشأنها فلن ندعكما تبرحان الأرض إلا والرماد يفصل بيننا.

وكأنهما لم يسمعا .. جذبا الفتاة من شعرها وهى تصرخ وتستغيث بمؤمن وصاحبه فما كان من مؤمن إلا أن استل سيفه ودار بالجواد أمامهم ثم سدد النصل فى رقبة أحدهما الذى ارتعد وترك شعر الفتاة:

ـ لم أكن أمزح يا رجل.. هيا.. عد إلى قرارك وإلا فصلت رأسك عن جسدك.. هيا .



٤٠

وفى منتهى الفزع أطلق الرجلان لساقيهما العنان.. وفرا فرار المنهزم المذعور.

وصاحت الفتاة:

ـ بسرعة .. هيا نهرب من هنا .. سيعودون فى قوة كبيرة.

لم يفكر مؤمن بل حمل الفتاة وراءه على الجواد وانطلق يصحبه صاحبه إلى حيث لاوجهة يولونها

وفى الطريق قال عنترة:

ـ انتظر يا مؤمن .. أين تتجه بنا ؟

ـ لا أعرف .. ولكن .. هل لديك حل آخر ؟

ـ هيا إذن إلى منزل السيدة فتحية.. إنها بمثابة أم لى.

وقادهم عنترة إلى قرية قريبة من بيت المقدس

٤١

وانطلقوا عبر الأزقة والحوارى حتى وصلوا إلى دار السيدة فتحية التى استقبلتهم استقبالاً حاراً :

ـ وما اسمك يا بنيتى؟

ـ راشيل .

ـ يهودية ؟

ـ نعم ...

ـ أمسلمون من كانوا يتعقبونك ؟

ـ لا يا سيدتى .. بل هم يهود ... مثلى .

هنا صاح مؤمن :

ـ بالرغم مما لاقيناه فى حياتنا منكم معشر اليهود .. إلا أن ديننا يأمرنا بأن نجير من استجار بنا .. أنت فى مأمن يا راشيل .

وانتظر مؤمن من عنترة أن يعرفه بالسيدة فتحية :

ـ آه . . اعـرفك يامـؤمن بأطيـب سـيـدة فـي القـدس وماحولها . . إنها خالتي .

ـ لم تقل لي ذلك من قبل .

ـ لم يكن لدينا وقت يا صـديقي . . والآن . . نحن في أمان عندها . . أما صديقي هذا ياخالتي فهو مؤمن . . أتى إلى القدس من أجل مغامرات يهوى خوضها . . وها هو يدافع عن فـتـاة يؤدبها أهلها ويجلب لنا المشاكل .

ـ نظر مؤمن إلى عنترة وقد عرف مزاحه . . وقال وهو ينظر إلى راشيل :

ـ ما رأيك يا عنترة . . ترى . . ما الذي يدفع اليهود أن

يعذبوا ابنة لهم؟

فصاحت راشيل وهي تغالب البكاء:

ـ ليسوا بأهلي يا مؤمن.. ولتعلموا جميعاً أنني كنت أفر من أبي.. والرجلان اللذان تتبعاني من رجاله.. ولديه أتباع أكثر من ذلك.. ولابد أنهم يبحثون عني الآن.

قامت السيدة فتحية وأحضرت رداءاً لراشيل ثم قالت وهي تضعه على كتفها:

ـ قومي يا بنيتي إلى حجرتي.. ليهدأ بالك والله يعصمك من أهلك الأشرار.

وهنا قام عنترة وقال:

ـ انتظري يا خالتي قليلاً، لابد أن نعرف لماذا فرت من

٤٤

والدها :

ـ ليس الآن يا عنترة .

فقام مؤمن وجذب صاحبه خارج البيت وهو يقول له :

ـ تعال يا صديقى . . ألم ترى الشر فى هذين الرجلين ؟ . . لاأعتقد أن هذه الفتاة غير محقة فيما فعلت . . إن والدها بلا شك قد سبب لها آلاما كثيرة .

ـ الله أعلم يا مؤمن . . هيا بنا نتناول طعام خالتى اللذيذ . . فلابد أنك جائع مثلى .

ـ سنفعل ذلك بسرعة . . ثم نعود إلى المسجد الأقصى لنكمل زيارتنا .

ـ إلا ننتظر الصباح يا مؤمن .

ـ لا . . أرجوك . . مازال فى النهار الكثير من الوقت . .
هيا إلى طعام خالتك .

و تناولا الغداء على عجل ثم استأذنا من الخالة فتحية على وعد بأن تعرف من راشيل أسباب الحوادث التى جرت ؛ وبعد أن وصلا إلى المسجد الأقصى وزار مؤمن قبة السلسلة وحكى له عنترة أنه فى أيام نبى الله داود عليه السلام انزل الله سلسلة من السماء حتى تسهل له أمور القضاء بين الناس . . فكان عليه السلام إذا حكم بين اثنين من بنى اسرائيل بعث بهما إلى السلسلة فكانت تحكم بينهما عندما يطلب داود عليه السلام من كل واحد فيهما أن يمسكها . . أما من كان صادقاً فيستطيع أن يمسكها بسهولة ومن كان

كاذباً فإذا مد يده إليها لا ينالها وتبتعد عنه.

- وهنا سأل مؤمن:

- ولكنى لا أرى السلسلة يا عنترة .. أين هى الآن؟

- لقد رفعها الله تعالى.

- لماذا ؟!!

- قيل إنه اختصم رجلان فاستودع أحدهما الآخر ذهباً، فما كان من الأخير إلا أن أحضر عصا وعمل فيها ثقباً وجعل الذهب مخفياً فيها. فلما أنكر أنه قد أخذ الذهب من صاحبه تخاصما عند داود عليه السلام. فقال: اذهبوا بهما إلى السلسلة. فقال صاحب الذهب أمامها: اللهم إن كنت تعلم أنى دفعت إليه الذهب فأسألك أن أنالها. وإذا به

٤٧

يمسك السلسلة .. فجاء الآخر ووقف أمامها ثم قال لصاحب الذهب :

ـ امسك عصاي حتى أحلف أمام السلسلة (وكان الذهب مخفياً فيها) .. ثم وقف أمام السلسلة وقال : اللّٰه إن كنت تعلم أنى قد دفعت إليه وديعته فاسألك أن أنالها. وإذ ابه ينال السلسلة هو الآخر فقال داود : يا رب ما هذا؟ نالها الظالم والمظلوم. فأوحى اللّٰه تعالى أن مال الرجل كان فى العصا التى أمسكها من خائن الأمانة .. فمن ذلك الحين رفع اللّٰه تعالى السلسلة ولم تهبط مرة أخرى.

ـ يا إلهى .. أرأيت يا عنترة؟

ـ نعم يا صديقى .. مكر الإنسان .. وخبثه يرفع

بركات السماء من الأرض.. والان هيا بنا إلى بيت صديقى.. لم أره منذ ما يقرب من عام.. إنه رجل طيب اسمه عم وديع.. سنقضى عنده أمسية لطيفة.

وخرجا من المسجد وسارا إلى حى المغاربة القريب من المسجد ولما وصلا إلى بيت عم وديع، وجدا أمامه زحاماً كثيرا من الناس ولغطاً ورجالاً كالجنود يعتلون الجياد ويقفون أمام منزل عم وديع .. ولما رأى عنترة عم وديع يقف بباب البيت كالمهزوم انطلق ووراءه مؤمن يشقان الجموع حتى وصلا إليه:

ـ عم وديع .. عم وديع .. ماذا يجرى هنا بحق الله؟

ـ من؟!.. عنترة!! أنجدنى ياعنترة.. بيتى وأرضى..

٤٩

سيضيع كل شئ.

فصاح عنترة فى الجموع :

ـ مـاذا تريدون من هذا الرجل الفـقـيـر؟ .. إياكم أن تمسوا شـعرة من رأسـه .. إن لنا رجالاً فى مـصـر .. سيقفون لكم بالمرصاد.

وهَمَّ الجند أن ينالوا منه إلا أن رجلاً خرج من بين الناس ما إن رآه مؤمن حتى كاد أن يصعق إنه هو .. هو نفس الرجل الذى يأتيـه فى الأحـلام في كـابوس مزعج .. وأشار الرجل إلى الجند بيده فثبتوا أماكنهم وتقدم إلي جانب عم وديع وقال يخاطب عنترة :

ـ أنت مسلم أيها الغلام .. أليس كذلك؟ .. والإسلام فـرض عليكم أن يأخـذ كل صـاحب حق حـقـه بلا

٥٠
غمط ولاظلم ولاحرب.. أليس كذلك؟ .. انظر فى هذه الأوراق ياغلامى الصغير - صاحبك وديع هذا قد وقع بخط يده على وثيقة تفيد بيع بيته وأرضه لى .. والآن نحن ننفذ ماجاء بهذه الوثيقة .

- أهذا توقيعك ياعم وديع؟

- هو ياولدى .. للأسف.

- ولماذا تحزن مادمت قد بعت؟ .. وماكل هذه الجموع؟

- سقط عم وديع مغشياً عليه ودخل الرجل الشرير إلى البيت على جواده ووراءه جنوده وانفض الجمع.. ولم يكن من عنترة ومؤمن إلا حمل وديع العجوز إلى منزل الخالة فتحية.. وبعد أن أفاق شكر

عنترة على رعايتهما له فقال عنترة:

ـ الشكر لله يا عم وديع .. أعرفك بخالتى.

ـ السيدة فتحية؟.. أعرفها ياولدى منذ أن كانت فتاة صغيرة.. شكراً على ضيافتك يا فتحية يا طيبة.

ـ الشكر لله يا عم وديع.. ولكن.. ما الذى يجرى فى بلادكم؟

ثم وقف بعد أن كان جالساً .. ونظر للسيدة فتحية وقال:

ـ الآن فى بيت الكرم والجود أصبح لديكِ يا سيدتى مشكلتان بعد أن كانت واحدة.. راشيل وعم وديع وها أنا أيضاً ضيف من مصر.. أود أن...

ـ لا تقل شيئاً يامؤمن.. البيت بيت الله والطعام رزق

الله لنا جميعاً.. المهم أن تصل أنت وعنترة إلى حل لمشكلة راشيل وعم وديع.

نظر مؤمن إلى عنترة ثم إلى عم وديع وعاد يجول نظره فيهم جميعاً وهو يمشى أمامهم وهم ينتظرون كلامه ثم قال:

ـ أظن أن مشكلتى التى لم تظهر بعد مرتبطة بما يعانى منه عم وديع وراشيل فى وقت واحد.

صاح عنترة وهو يضرب كفاً بكف مازحاً:

ـ لاحول ولا قوة إلا بالله.. ادخلت نفسك فى لعبة كبيرة يا صديقى.. إنك تبحث عن المتاعب كمن يبحث عن هويته .

ـ ليست متاعب يا صديقى.. الوقوف بجانب المظلوم

وإعـادة الحق المسلوب لصـاحـبـه ورفع الجـور عن المهضوم المستغيث ليس من المتاعب أبداً .. إنما هو فضل من الله أن يؤتيك القدرة والقوة على ذلك .

ـ إذاً ما علاقة مؤمن براشيل وبعم وديع ؟

جلس مؤمن وقال كأنما يبحث عن العبارات فى عقله :

ـ الكابوس .. نفس الرجل الشرير .. عم وديع .. الرجل ذاته .. راشيل .. الرجل ذاته وبذكاء لماح قال له عنترة :

ـ لو صدقت فى أن الرجل الذى كان يأتيك فى الكابوس هو الذى رأيته اليوم والذى أخذ بيت عم وديع فما علاقته براشيل ؟

٥٤

ـ راشيل فرت من والدها الشرير.. ولدىَّ إحساس قوى أن الرجل الذى تعنيه هو والد راشيل فصاحت السيدة فتحية:

ـ ولماذا الحيرة؟.. سأذهب لأحضر راشيل ولنرى ما لديها.

كان عم وديع يلتهم الحساء الساخن الذى أعدته له السيدة فتحية بينما عادت هى ومعها راشيل وقد زال عنها ماألم بها من رعب وهدأت نفسها وانبسطت ملامحها قليلاً:

ـ أهلا ياراشيل .. ولو أننا لم نعرف بعد أسباب فرارك من والدك.. لكن نريد أن نتعرف على أوصافه.

٥٥

جلست راشيل واحتضنتها السيدة فتحية في صدرها ولكنها ابتعدت عنها قليلاً واعتدلت وقالت :

- لا .. لن أخجل من ذكر أسباب فراري من أبي .. بل إن فراري سيكون منه ومن كل يهودي في القدس.

نظروا إليها بعجب شديد وأراد عنترة أن يتهكم لكن مؤمن أشار له بالصمت حتى تكمل راشيل حديثها .

- نحن سبعة بنات لأبي .. كلهن خضعن لتربية قذرة فأطعنه جميعاً إلا أنا .. ربّانا والدنا وأطعمنا حتى نصبح في شبابنا بغايا يبيع لحمنا للرجال ويقبض من وراء عفة بناته المهدورة ما يبني به ثروة لاحد لها ..

٥٦

ساد وجوم وصمت رهيبان ممزوجان بدهشة وحياء ولكنها أكملت :

- بيتنا بيت البغايا.. أخواتي هن البغايا وأبي الذي يبيعهن بنفسه.. أما أنا فلم أفعل ذلك أبداً.. إنها خطيئة يكرهها الله ويأباها كل ذي شرف وعفة ودين.. بل أكثر من ذلك لقد فررت من اليهودية.. لاأريد أن أكون يهودية بعد الآن.. كل اليهود مثل أبي يبيعون بناتهم وزوجاتهم من أجل المال.. وبعد أن يملكوه يسعون في إربائه بالحرام.. أبي يقرض الناس بالربا.. النّاس كلهم، مسلمون كانوا أو غيرهم.. حتى اليهودي يقترض من أبي بالربا يأتيه الرجل في ضيق وعسر، حاجته إلى مائة

دينار..فيعطيه والدي شريطة أن يعيدها الرجل إليه في ميعاد محدد مائة وعشرين ديناراً.. وهكذا تتضخم ثروته ويزداد بأسه ويقسو قلبه.. إن قلب أبى كالحجارة بل هو أشد قسوة من الحجارة.. ومن الحديد.. آه.. آه.. آه..!

وبكت راشيل وألقت برأسها على صدر السيدة فتحية وقام عم وديع منتفضاً وقال:

ـ أنت ابنة اللّص كوهين؟ .. المرابى القذر.. لقد أخذ دارى وبيتى عندما لم أستطع رد دَيْنه ..!

قال مؤمن وهو ينظر لعنترة:

ـ أرأيت يا صديقى؟.. أرأيت؟.. نفس الرجل الذى يأتينى فى الكابوس .. هو ذاته صاحب المشاكل

٥٨
التى تحضرنا الآن .. ما رأيك؟

ترك عم وديع طبقه وتوجه ناحية راشيل ومال نحوها وفى عينيه الغضب وقال :

ـ كوهين.. والدك.. أقرضنى ثلاثمائة دينار فى مرض زوجتى يرحمها الله.. واشترط عَلَيَّ إذْ لم أعِدها له أربعمائة دينار فى ظرف شهر واحد، أن يسلبنى أرضى والبيت الواقع فوقها، الذى تربيت فيه، وعشت وزوجتى فيه طيلة عمرى، وجعلنى أوقِّع على وثيقة البيع حتى آخذ الدنانير.. ثم أنفقتها على زوجتى وماتت رغم ذلك وأصبحت مفلساً فأتى اليوم بجنوده وأتباعه ونفذوا حكم إعدامى بأخذ بيتى وأرضى.

وأحس مؤمن أن عم وديع قد يتهَوَّر ويُعَاقِب راشيل بذنب والدها فجذبه من كتفه وقال :

- يا عم وديع .. على رِسْلِك يا شيخ .. راشيل مثلك ضحية كوهين اللعين .. اهدأ بالله عليك .. !

تراجع وديع العجوز وجلس مؤمن بجانبه وساد صمت طويل .. الجميع فى شرود وكلهم يفكر فى الحوادث الغريبة .. وكان الليل فى منتصفه تقريباً لما أحسوا بالنعاس يدعوهم إلى الفراش فقاموا كُلٌّ إلى مأواه وناموا .

وزقزقت العصافير معلنة صباحاً جديداً وتجمع الأصدقاء وتناولوا الفطور وحمدوا الله وشكروا السيدة فتحية ، وبعد أن شربوا الشاى الساخن كان

٦٠

مؤمن يريد أن يتم أمراً فأخذ عنترة إلى خارج الدار:

ـ عنترة .. لابد أن نقوم بزيارة لكوهين هذا.

ـ ماذا فى عقلك يا مؤمن؟.

ـ فى عقلى أن نطلب منه أن يرجع عن أفعاله القذرة ونهدده بالحرب إذا لم يرتدع.

ـ يرتدع ؟!! .. ها ها ها .. ماذا قلت؟ .. ماذا تظنه ياصديقى .. إن كوهين هذا عصابة فى ذاته لديه قوات مدججة بالسلاح تحمى نشاطاته المريبة.. من نكون حتى نهدده...؟!

ـ لا تنس أن راشيل معنا.

ـ أتساومه عليها؟

ـ لا .. راشيل غير مختطفة ياعنترة لكنه لن يستطيع

٦١

إيذاءنا طالما علم أن راشيل معنا وأنه لم يعرف مكانها بعد.

-فكرة طيبة .. ولكن ...

-عنترة .. «إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة فإن فساد الرأى أن تترددا» .. لابد أن نمضى فى الخير ونتوكل على الحى القيوم الذى يرانا ويرعانا فى كل لحظة وحين.

قفزا على جواديهما بعد أن وعدا عم وديع وراشيل بمحاولة حل المشكلة وطلبا من الجميع ألا يظهروا للناس فلا يخرج عم وديع ولا راشيل من بيت السيدة فتحية حتى يعودان من مهمتهما وانطلق الغلامان فدخلا مدينة القدس وأخذا يطوفان بأحيائها

حتى لاح قصر كوهين اللعين :

ـ أرى أن الدخول على اللعين كوهين مباشرة فيه حماقة وخطر .

ـ لماذا ياعنترة ؟

ـ أرى أن نتسلق السور الخلفى للقصر ونتسلل إلى جناحه الخاص حتى يكون أول من نلقاه هنا .

ـ لماذا ؟ !

ـ أنا أعلم منك باليهود يامؤمن .. إنهم أشرار .. ، لو دخلنا من الباب لأخذنا الحراس وعذبونا قبل أن نقابله وقد يتاجرون بنا عنده حتى يكسبوا المال وليس لدينا وقت ولامايحملنا على كل ذلك .

ومضيا برأى عنترة وتسلقا السور الخلفى الذى

كانت أشجار البرتقال واليوسفى تتشابك فوقه وأخذا يزحفان حتى أصبحا أمام نافذة كوهين.. فمد عنترة نصل سيفه وفتحها ثم قفزا إلى داخل الغرفة، ولم يكن كوهين فيها فأخذا يتهامسان:

ـ مؤمن .. ما رأيك؟

ـ أرى أن نبحث عنه.. الجدران كلها مكسوة بالستائر وهذا نافع لنا.. فلتكن تحركاتنا خلف الستائر.. هيا .

وبخفة متناهية أخذا يتسللان حتى سمعا أصواتاً في إيوان القصر فتسمعا...، فإذا بكوهين يقول :

ـ ألم يعثر أحد على راشيل أو الغلامين اللذين اختطفاها؟

٦٤

ـ سيدى كوهين.. لقد قال أحد الغلامين أن بمصر أناساً سيأتون للإنتقام مما حدث لوديع العجوز.. ولابد أنهما من مصر وأن راشيل الآن هناك...

ـ مصر.. مصر.. مصر.. كل المتاعب تأتينا من مصر.. سيأتى يوم يا مساعدى المخلص .. بعد أن أمتلك القدس كلها .. سيأتى يوم أدخل فيه أرض مصر وأدمر جنودها تدميراً وتكون أرضاً لى ولأحفادى من بعدى.

ـ سيدى .. أرجو ألا يجمح بك الخيال كثيراً.. فنحن نعرف أن مصر بلد منيع حصين للأبد وأن رسول المسلمين محمداً قال للعرب: إذا دخلتم مصر فاتخذوا منها جنداً كثيفاً فإنهم خير أجناد الأرض

وأنهم في رباط إلى يوم القيامة.

ـ وهل تصـــدق هـذا الكـلام؟ .. لا دين لـلأرض ومن عليها غير اليهودية يا رجل...؟!

ـ سيدى.. سيدى.. وإن كنا نقول للعالم هذا الكلام إلا أننا نعرف يقيناً أن محمداً رسول الله الأخير.. الرسول الخاتم وأن الإسلام دين الحق.

ـ آه.. نعم.. نعم.. ولكنهم يكرهوننا.. ويريدون تدميرنا.. هل أصبحت منهم يا رجل؟

ـ عفوا يا سيدى.. ولكن.

ـ لا لكن ولا غيـرها.. قل لى ماذا بقى فى القدس لا أملكه.. لقد اشتريت معظم أراضيها أليس كذلك؟

ـ سيدى.. المسلمون الذين يتركون لك بيوتهم

وأراضيهم لم يتركوها بطيب نفس.. إنهم يعتبرون ذلك اغتصاباً لأنك...

ـ كفى.. كفى..

ـ لا ياسيدى.. فبعد أن تمتلك كل شئ لن تجد من يدافع لك عنه. فنحن مع ذلك قوة صغيرة فى بلادنا والمسلمون يمكن أن يكوّنوا جيشاً منيعاً يستعيدون به أرضهم مرة أخرى.

ـ ها.. ها.. ها.. هذا لن يحدث أبداً.. لقد نسيت شيئاً مهماً يا مساعدى.. أنسيت أننى أنشأت صندوق المال.. صندوق النقد.. الفلوس.. وأن لكل واحد فى البلاد دين عند صندوقنا.. كل واحد يزرع أو يصنع أو يتاجر.. روحه بيدى.. ويمكن أن

٦٧

أقضى عليه.

ـلن يحدث ذلك فى حالة واحدة يا سيدى..

ـوما هى؟

ـعندما يتحد العرب علينا سيضيع كل شئ .. سيأخذون أرضهم وأموالهم.

ـها ها ها .. ها ها ها .. ها ها ها . يتحد العرب؟ .. ها ها ها.؟!.. يتحدون؟ هه؟! ها ها ها.. هذا آخر ما يتصوره عقلك أو عقل أى مخلوق سازج مثلك على وجه الأرض.. أن يتحد العرب يا صديقى.. هاها.. يمكن أن يمر جمل.. هه.. جملٌ يمر من ثقب إبرة.. لكن أن يتحد العرب فهذا لا..، ولن يكون..، أتعرف؟ لو حدث هذا.. لكانت نهايتنا

٦٨

المحتومة .. ولكن ها ها ها .. لن يحدث أبداً ... !

كاد مؤمن أن ينفطر حزناً من كلام كوهين ولم يتمالك نفسه بعد ضحكاته الساخرة فقفز من وراء الستارة شاهراً سيفه أمامه وهو يصيح به :

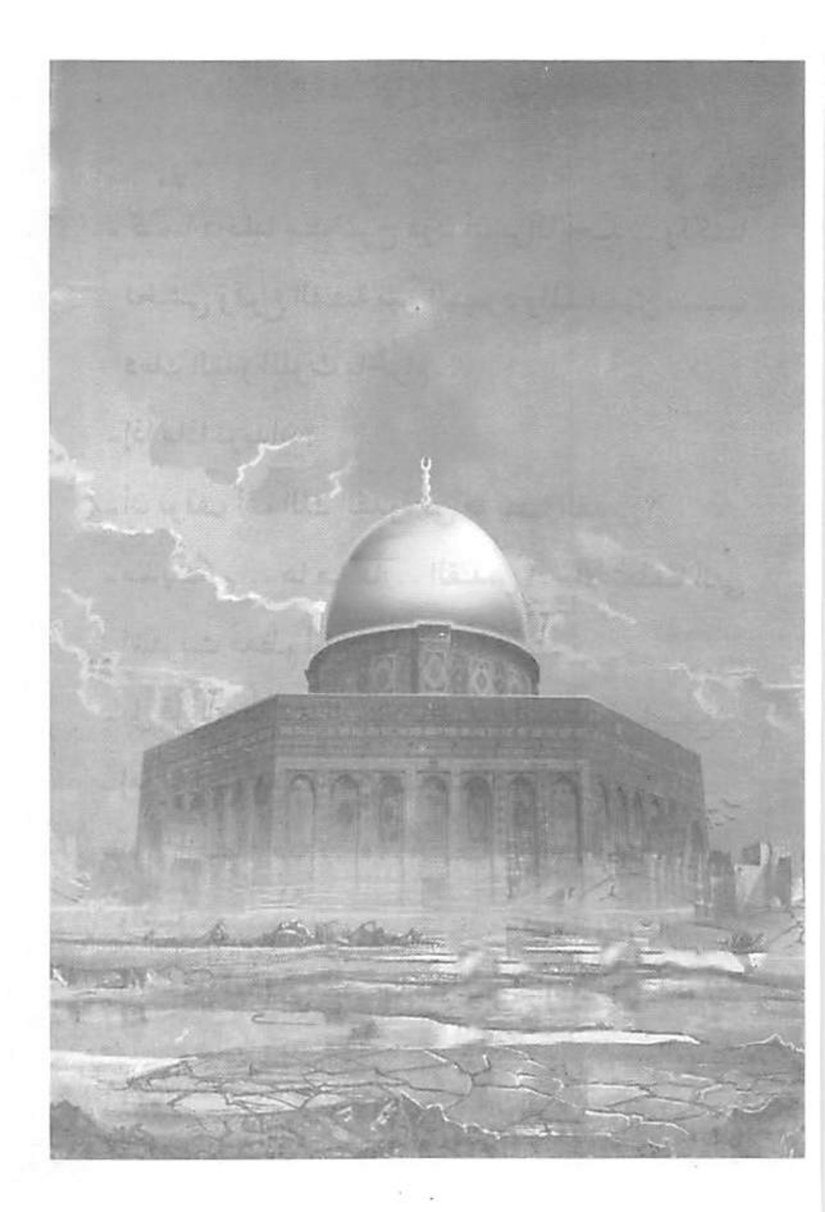
ـ سيخيب الله ظنك يا عدو الله ..

انتفض كوهين وكاد أن يذوب رعباً وقبل أن يأتى هو أو مساعده بأى حركة كان عنترة أيضاً يشهر سيفه فى وجهيهما :

ـ من أنتما ؟.. وكيف دخلتما ؟

ـ اسمع يا كوهين .. إن باستطاعتنا الآن أن نقتلك ونخلص الناس من شرورك .

ـ ولكن .. لن تفلتا من الحراس .



٧٠

ـ كما دخلنا سنخرج دون أن يرانا أحد.. ولكننا نخشى وقوع الفتنة بين اليهود والمسلمين بسبب دمك القذر الملوث بالحرام..

ـ إذاً ماذا تريدان ؟

ـ أن نوقف أعمالك القذرة فى مدينتنا القدس؟

ـ مدينتكم .. ها ها ها .. القدس؟.. ألا تعلما أننى اشتريت معظم أراضيها إنها ملكى.

ـ بل قل اغتصبت الأرض بالحيلة والنصب.. اسمع.. إما أن تعيد لعم وديع ممتلكاته التى أخذتها وإلا..

ـ آه.. أنتما إذن .. آه.. أنتما من اختطفتم ابنتى راشيل...

ـ راشيل لم تختطف ياكوهين.. إنها فى الحفظ

والصون.. ولكنها فرت منك ومن جنودك.

ـها ها ها.. براڤـو.. إذن أنتـمـا سـوف تساومـاني عليها.. على راشيل.. هه؟

ـلا .. إنهـا لا تريد العودة إلياك ولانملك أن نجبرها على ذلك.. ولكن نحن ننذرك بحرب إذا لم ترجع عن أفعالك المدنسة للأرض المقدسة.

ـحـرب؟ .. ها ها ها .. حـرب مع من؟ ... أنتم ؟.. من أنتم؟

ـنحن العـرب.. المسلمون كلهم سيحاربونك يا كوهين.

ـها ها ها .. ها ها ها .

أخذ يضحك ويضحك بينما عاد مؤمن وعنترة

ليخرجان كما دخلا وضحكات كوهين مازالت مستمرة تسمم سمعيهما.. وأخذا يتخفيان في طريق العودة حتى يفلتا من مراقبة أتباع كوهين.. وبالليل دخلا دار الخالة فتحية.. وبعد أن اغتسلا من الهموم بالوضوء والصلاة وتناولوا جميعا طعام العشاء.. جلسوا في ردهة البيت حول جذوات الحطب المشتعلة والصمت غالب عليهم وفجأة قطع مؤمن الصمت صارخاً:

- يا قوم.. إن البعوضة أصبحت كالوحش الكبير.. البعوضة تتغذى على دمائنا وتتقوى من قوتنا حتى أصبحت لايقدر أحد على هشهاوطردها ...!

ساد صمت مهيب كأن مؤمناً قد ألقى فوق

الرؤوس جبلاً من الخزى والعار.. فأطرقوا ينظرون للأرض فترة من الزمن.. ثم قامت الخالة فتحية وذهبت إلى مؤمن ثم أمسكت برأسه ورفعتها لأعلى:

- لاتنظر للأرض يا ولدى.. ارفع رأسك.. الله وكيلنا.

- ونعم بالله ياخاله.. ولكن ماالذى يمكن أن نفعله؟

تأثر عنترة بشدة فهب منتفضاً:

- تباً للظلم.. لابد أن نقاتلهم حتى نبيدهم تماماً.

نظرت إليه الخالة فتحية ثم قالت بهدوء:

- اجلس يا عنترة.. الوقت ليس وقت الخطب والشعارات والثورة والعبارات الملتهبة الوقت وقت التفكير.. فكر برأسك قبل أن ينطق لسانك.. لا تدع قلبك يقود عقلك.

ـ ماذا تقصدين يا خالتى؟

ـ بمن ستحاربهم يا ولدى.. هه.. بالتجار.. أم بالزراع.. أم بالنجارين والخبازين والبائعين؟ كل هؤلاء عليهم ديون لكوهين.. مصائرهم جميعاً بيده.. بيوتهم ملكاً له.. أعمالهم كلها رهن إصبعه.. لقد سعى كوهين حتى تملك الناس.. لم يحاربهم إلا عندما تأكد أنه قد سلبهم الأمان..

فصاح عم وديع:

ـ وماذا سنفعل يافتحية؟ .. ماذا سنفعل؟

ـ نجلس ونفكر .. نفكر حتى نهتدى للحل..

قال مؤمن:

ـ الاستقلال.. نعم.. لابد أن يستقل الجميع عنه..

مهما كان الثمن.. لن نرفع السيف فى وجهه إلا عندما نجهضه تماماً.

قال عنترة:

-هل تقصد أن يقاطعه الناس كلهم.

-نعم .. لا نبيع له ولانشترى منه.. يساعد بعضنا بعضاً حتى نسوى الديون التى له علينا وبعد ذلك نهجم عليه هجمة رجل واحد.

قال عم وديع:

-شئ صعب ياولدى.. شئ صعب.. من سيلم شمل الأشتات.

-أنا.. أنا يا سيدى بعون الله سأواجه هذا المفسد.. وسألم الشمل.. ولكن احتاج لمساعدة كل واحد

فيكم.

لم يغمض لأحدهم جفن تلك الليلة.. جلسوا حتى رست على شاطئ ليلهم سفينة الصباح التى تلف الدنيا..، وقاموا إلى نوم قليل، ثم قاموا كل فى اتجاه إلى هدف جميل.

ذهب مؤمن إلى التجار والتقى بشيخ وكبير التجار.. وذهب عنترة إلى كبير الفلاحين وذهبت الخالة فتحية إلى كبير الخبازين وعم وديع إلى الشيوخ والقساوسة والتقى بهم، ومكثت راشيل فى البيت تعد لهم الطعام.. وأتى مساء جديد وعاد للبيت عُمَّارُه:

ماذا فعلت يا مؤمن؟

ـ لقد لاقيت مشقة وصعوبة فى عملى اليوم.. ولكننى خرجت بنتيجة طيبة والحمد لله وأنت ياعنترة ماذا فعلت؟

ـ لقد وفقنى الله يا مؤمن.. إن أفكارنا لاقت ترحيباً شديداً.. الناس يريدون أن يفعلوا شيئاً.. ماذا فعلت ياخالة فتحية؟

ـ لم أصدق أنَّ الانفجار ينتظر من يشعل فتيله.. الكل يكره كوهين.. بل إن الكره ممتد إلى كل اليهود.. معذرة ياراشيل.. وأنت يا عم وديع ماذا فعلت:

ـ أما أنا فقد أخذت وعداً من شيخ الاسلام بالقدس ومن كبير القساوسة أن يتعانق الهلال مع الصليب ضد أعداء الأديان.. أعداء السلام والأمان والرحمة.

٧٨

ولم تمض ليلة واحدة حتى أصابت القدس حركة غير عادية.. لقد توقفت حركة البيع والشراء بين المسلمين بعضهم البعض.. ذهب الجميع يشترون من كوهين.. كل شئ.. كل الناس يقفون على أبواب متاجره يشترون بالنقد أو بالأجل حتى نفدت متاجره تماماً وعمرت خزائنه ودفاتره بالديون.. اشترى الناس مايفوق احتياجاتهم لشهور عديدة وقاموا بتخزين الأخشاب والوقود والمحاصيل والدقيق والدواء وجلس كوهين في قصره يضحك من الشراء أما صديقنا مؤمن فكان يضحك هو الآخر:

ـ ها ها ها .. فَلْنَرَ ماذا سيفعل كوهين بما لديه من المال .. ها ها ها ..

وفى صباح اليوم التالى .. لم يذهب أحد إلى كوهين.. وذهب عماله إلى الفلاحين فامتنعوا عن توريد المحاصيل وكذلك النجارون فقالوا أنهم لن يصنعوا شيئاً.

وتوقف الخبازون عن انتاج الخبز، وأغلقت جميع الحوانيت، واعتكف كبار التجار والمزارعين فى البيوت.. فأصبح كوهين قلقاً:

ـ أنت يا مساعدى الخائن.. ما الذى يجرى؟

ـ لم يعد أحد يبيع لنا شيئاً.. ولم يعد عندنا ما يشتريه الناس.

ـ والقوافل .. أين القوافل التى تحمل لنا البضائع؟

ـ لم تعد هناك قوافل.. هناك من جعل القوافل لا تمر

٨٠

بالقدس.

ـ ما هذا؟.. وماذا سنفعل بأموالنا؟.. إنها مؤامرة.. ولماذا لا يأتى أحداً للشراء؟ افتحوا المخازن الاحتياطية.

ـ فتحناها يا سيدى .. ولكن لا أحد من الشعب يشترى شيئاً .. لقد أخذوا ما يكفيهم لشهور.

ـ أتعرف نتيجة ذلك . سنموت .. لابد أن نذهب لشيوخ التجار والزراع والخبازين.. لابد أن نتفاوض معهم.

وبعد أسبوع .. زحف كوهين على بطنه من الجوع حتى منزل شيخ التجار:

ـ أرجوك يا شيخ التجار.. سأموت وجنودى من

٨١

الجوع.

ـتحت أمـــرك .. ولكن الديون التى علينا لابد أن نسددها أولاً.

ـطعام.. سددوها من الطعام.. أريد الطعام.

ـلا .. أخذناها مالاً وسنعيدها مالاً ياكوهين اليهود الأكبر.

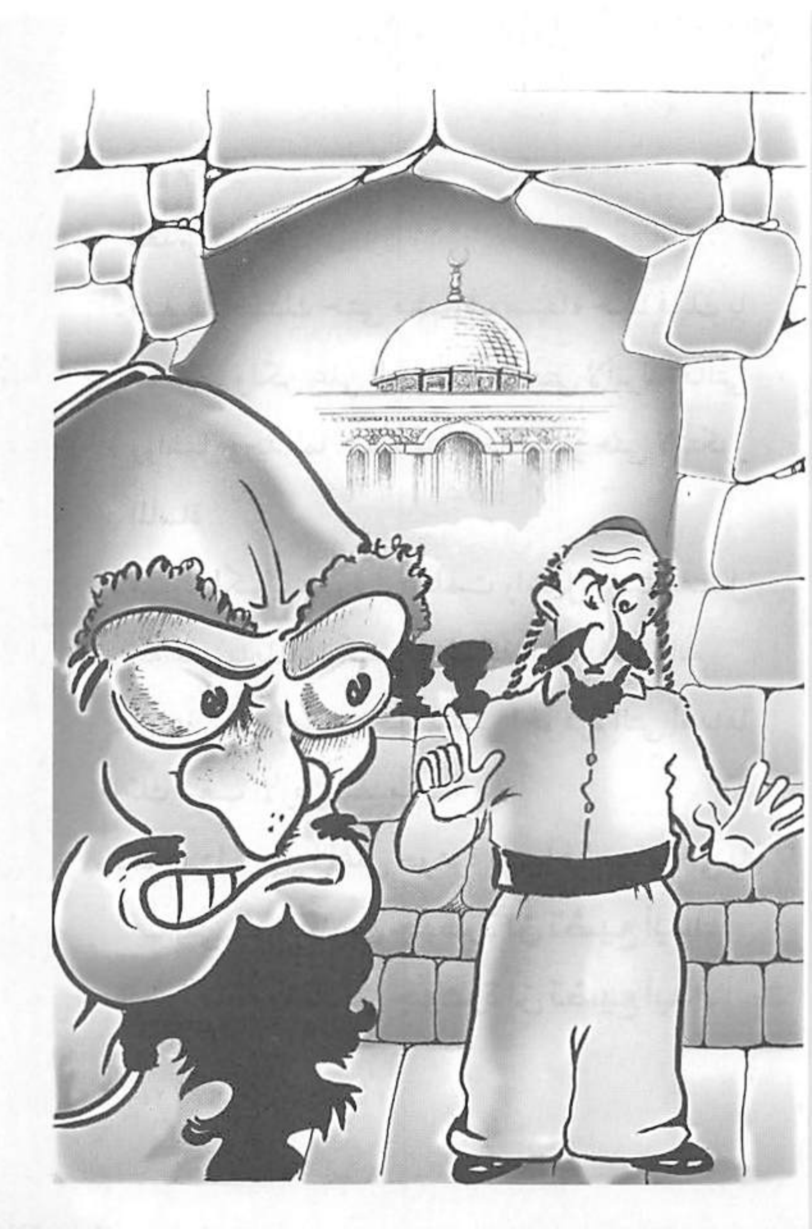
ـلا .. أرجوك .. ماذا أفعل بالمال؟.. لا أجد مأشتريه به .. اسـمع .. لقـد تنازلت عن الديون كلهـا.. تنازلت عن كل ما سلبته منكم أيها العرب من مال وأرض بالربا.. أرجوك أن تطعمنى أنا وأولادى .

ـفى هذه الحالة .. على أن استشير بقية العرب.. وعلى رأسهم .. الغلام المصرى الذى نحترم رأيه..

وفي الليلة التالية أقيمت احتفالات كبيرة بالقدس.. لقد عاد للناس الأمان وأصبحوا وقد عاد لكل واحد منهم ماسُلب منه.. حتى عم وديع رجع إلى البيت الذى أحبه وتربى وتزوج فيه.. دبت الأفراح في كل بقعة وعاد كوهين إلى حجمه.. يهودياً ليس له إلا داره ومُنع من ممارسة الربا والبغاء.. وفرضت عليه جزية سنوية يدفعها نظير إعطائه الأمان والسلام .

وبعد أن وصل مؤمن وعنترة بجواديهما ذات صباح إلى مشارف سيناء تنفس مؤمن هواء بلاده فتوقف عن السير وابتسم :

ـ سعدت بصحبتك يا عنترة.. الآن.. هل سترجع إلى



القدس؟

- لقد صحبتك حتى مشارف سيناء حباً فيك يا مؤمن.. ولكن عليّ العودة الآن حتى لاأترك خالتى وراشيل وحدهما.. فأمامنا عمل كبير حتى لاتتكرر المأساة.

- مبارك لكم ياعنترة.. اسلمت راشيل ونجت بفضل الله على يديك وانكسرت شوكة اليهود بعزة الله.

- وداعاً.. يا مؤمن .. حافظ على الجوهرة التى أهداها لك شعب الأرض المقدسة.

- ها ها ها .. إنها أغلى جوهرة نلتها فى مغامراتى يا صديقى ....القدس جوهرة لن تضيع أبداً.

..... القدس جوهرة لن تضيع أبداً.